العرب
الأربعاء 2021/07/14
السنة 44 العدد 12119

«الأميركيون الآخرون» أسئلة جريئة عن الهجرة والهوية والانتماء

الكاتبة المغربية ليلى العلمي تحول كاليفورنيا إلى مسرح لأحداث متوترة

لم يسبق لكاتب مغربي أن نال حظوة على الساحة الأدبية الأميركية كما هو الحال بالنسبة إلى الروائية ليلى العلمي التي ظلت وفية لاختيار تسليط الضوء على شخوص مغربية من الهامش، مما مكنها من الظفر بالعديد من الجوائز والترشح لجوائز عالمية مرموقة، حيث تقدم في جل أعمالها على غرار روايتها الأخيرة "الأميركيون الآخرون" نظرة مختلفة لواقع الهجرة والانتماء والمشاعر الإنسانية المتناقضة.

الرباط – قدمت الكاتبة المغربية الأميركية ليلى العلمي مساء الاثنين بالرباط روايتها "الأميركيون الآخرون"، وهي عمل يسترجع المصير المرير لعائلة من أصل مغربي تعيش في الولايات المتحدة بحثا عن الحلم الأميركي.

هذه الرواية، التي ترجمت إلى الفرنسية من قبل "منشورات بوركوا" ثم أعيد إصدارها ونشرها من طرف دار النشر (الفنك) في عام 2020، تم تقديمها في لقاء أدبي نظمته مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج بحضور مؤلفة هذا العمل الأدبي.

مسرح متوتر

تروي "الأميركيون الآخرون" قصة عائلة من أصل مغربي تعيش في كاليفورنيا مفجوعة بوفاة رب الأسرة إدريس الغراوي، بعد أن دهسته سيارة بوحشية ولاذت بالفرار، وتؤدي هذه المأساة إلى فتح تحقيق من طرف الشرطة مما يفتح الطريق أمام أسئلة حول مواضيع مثل الهجرة والهوية والانتماء.

> الرواية تعالج بطريقة مختلفة مسألة الهجرة من خلال تبادل شخصياتها لوجهات النظر والمشاعر والشهادات والآراء

وتنطلق أحداث الرواية مباشرة بعد وفاة رب العائلة المغربية إدريس إثر حادث سير تعرّض له في ساعة متأخّرة من الليل، بينما كان عائدا من عمله في مطعمه.

وفي البداية، يظنّ الجميع، والقارئ معهم، بأنه لا شهود عيان على هذا الحادث، قبل أن يتبين لاحقا أن ثمة شاهدا واحدا، هو إيفرين، الذي يمتنع عن الإدلاء بشهادته، ويقاوم الضغوط التي تمارسها زوجته عليه للقيام بواجبه، لسبب بسيط؛ الخوف من طرده من الولايات المتحدة، حيث يقيم بطريقة غير شرعية.

بطلة الرواية، نورا، هي ابنة إدريس، ومع أنها كانت على خلاف مع والديها؛ بسبب عدم رضوخها لما كانا ينتظرانه منها، وتكريس وقتها لشغفها بموسيقى الجاز، إلا أنها تقرر حل اللغز الذي يحيط بمقتل والدها، وأثناء اضطلاعها بهذه المهمة، تقع في غرام واحد من أصدقاء طفولتها للتشابك الأحداث والقصص في رحلة البحث عن الحقيقة.

وفي مداخلة لها خلال اللقاء، أعربت العلمي عن سعادتها بتقديم هذه الرواية التي تعطي "نظرة شاملة للمجتمع الأميركي"، مع "ربطها بحياة مغاربة المهجر".

وقالت إن "الصفحة الأولى من هذا الكتاب تطرح مسألة ما إذا كانت هذه الوفاة نتيجة حادث أو جريمة قتل"، موضحة تفاصيل المراحل الرئيسية في كتابة هذا العمل الذي بدأ في عام 2014 ورأى النور في الولايات المتحدة في عام 2019.

وأضافت أن "الأميركيون الآخرون" تفكر في البعد الشخصي والبعد السياسي وتقوم بدمج الاثنين في حوار، مشيرة إلى مختلف أبطال الرواية الذين يتناوبون على الحديث لحكي قصصهم. وتتحد هذه الأصوات وتتناقض مع بعضها البعض لتروي تفاصيل حياتها اليومية في الولايات المتحدة الحالية، وتجعل مدينة كاليفورنيا، حيث تجري الأحداث، مسرحا لتوترات هويتها الأكثر دفنا.

وأشارت العلمي إلى أنه "في كل إبداع يوجد جزء من المؤلف وجزء من الخيال"، وهو ما يعكس الإلهام في روايتها.

وتشدد الروائية على أن المغاربة الذين تتحدث عنهم في كتاباتها هم أشخاص عبروا الحدود وقصصهم غير موثقة بما فيه الكفاية، ولم يرد ذكرهم في سجلات التاريخ إلا في ما ندر، أو لم يتم ربطهم على نحو جيد بسياقاتهم، لافتة إلى أنها تكتب عن المهمشين والأجانب والمهاجرين والأشخاص الذين غادروا بلادهم. وإلى أن قصص هؤلاء الناس هي التي تريد أن ترويها، مردفة "لقد سئلت بالفعل عما إذا كنت سأكتب عن شخصيات أخرى وكان جوابي بالنفي لأنني، على الأقل في المجال الروائي، أود أن أروي قصص شخصيات مغربية. إنه خياري في الكتابة".

ويبدو أن هذا الاختيار كان موفقا إلى حد بعيد، حيث كتبت مجلة "تايم" عن رواية "الأميركيون الآخرون" أنها ترسم "صورة قوية للعرق والهجرة في الولايات المتحدة"، مبرزة أن العلمي "تتمتع بموهبة كبيرة في سرد حيوات شخوصها".

تجربة الهجرة

سلطت الناشرة ليلى الشاوني مديرة دار الفنك، التي أدارت اللقاء، الضوء على خصوصية الرواية التي تتحدى وتعالج بطريقة مختلفة مسألة الهجرة، من خلال تبادل وجهات النظر والمشاعر والشهادات والآراء.

وأوضحت أنها رواية مثيرة للاهتمام من وجهة نظر أدبية لأنها تستكشف عالم عائلة اختارت الاستقرار في الولايات المتحدة وتقدم رؤية متعددة الأصوات للمجتمع الأميركي.

وأبرزت فتيحة أملوك الملكفة بقطب الفن والثقافة والاتصال بمؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج، الهوية الأدبية للعلمي، الكاتبة التي تميزت بتجربة الهجرة.

وقالت في تصريح لها إن رواق "ضفاف" المخصص للمبدعين المغاربة والأجانب يستضيف اليوم لقاء أدبيا مع ليلى العلمي حول رواياتها "الأميركيون الآخرون"، مبرزة أن هذه الكاتبة "تتميز بتجربتها كمهاجرة وهو ما يظهر جليا في رواياتها الأخرى".

وتميز هذا اللقاء الأدبي بجلسة أسئلة وأجوبة حول الرواية تلتها جلسة توقيع الكتاب.

ويذكر أن ليلى العلمي ولدت سنة 1968 في حي المحيط بالرباط، ودرست في مدرسة سانت مارغريت ماري، ثم في ثانوية دار السلام. وفي سنة 1991 حصلت على شهادة الإجازة في الأدب الإنجليزي بميزة مشرفة، خولت لها الحصول على منحة للدراسة في إنجلترا، حيث حصلت على شهادة التبريز في لسانيات اللغة الإنجليزية.

وبدأت الروائية المغربية الكتابة باللغة الإنجليزية فعليا سنة 1996، حينما باشرت كتابة مقالات أدبية وسياسية وقصص لاقت تنويها وجوائز مهمة.

ومن أعمالها مجموعة قصصية بعنوان "الأمل وأبحاث خطرة أخرى"، نشرت سنة 2005 وتمت ترجمتها إلى ست لغات، ورواية "طفل سري" (2009)، التي رشحت للفوز بجائزة اورانج ثم رواية "مارواه المغربي" 2015.

واختيرت العلمي للتنافس ضمن القائمة النهائية للجائزة الوطنية الأميركية للكتاب برسم سنة 2019 عن روايتها «الأميركيون الآخرون» التي يمثل اختيارها في قائمة مصغرة منتقاة من بين 397 عملا روائيا تتويجا في حد ذاته.

أكتب عن المغاربة المهمشين

«زقاق الجمجم».. رواية عراقية بطلها مكان هش

عمان – يسترجع الكاتب العراقي بيات مرعي في روايته "زقاق الجمجم" أحداثا تدور في إحدى البيئات الشعبية التي تتسم بواقعية شخصياتها وبعلاقاتها الإنسانية الدافئة.

وتستحضر الرواية ما شهدته حياة الناس في العراق منذ مطلع الألفية الثالثة وما بعد الغزو الأميركي من معاناة على كافة الأصعدة، من خلال مشاهدات البطل الذي قدم إلى مدينة البصرة، فعاد به شعوره بالغربة إلى ذكرياته في "زقاق الجمجم"، الحي الذي شهد ولادته وطفولته، فأخذ ينقل ما عايشه من تفاعل وعلاقات أليفة بين أهل الحي، الأمر الذي جعل الرواية مليئة بالحكايات الفرعية التي تجسد هموم الناس هناك وخلجاتهم، ويختلط فيها العام بالخاص تاركا أثره على أحلام الناس في الزقاق وآمالهم.

ويصف بطل الرواية تفاصيل المكان قائلا "زقاق ضيق مبلط بالحجارة، تنبعث منه روائح مختلفة كأن أحدا يحرق دهن العود وعرف الصندل لتهب رائحة على جناح طائر تجعل الروح تنتشي، ربما كان ذلك لكثرة ما تتعطر نساء الزقاق بشتى أنواع العطور، كنت أحب الخروج من الدار لأعرف ماذا يحدث".

وتتناثر على صفحات الرواية أحاديث الحرب وتداعياتها القاسية على الشخصيات التي يصورها البطل في أحد المشاهد قائلا "عدد من سيارات الإسعاف كان يمر مسرعا في تلك الشوارع، تتقاطع وجهاتها، كنت خائفا لأن المشاهد التي تخيلتها أو التي أشاهدها لم تعد تستر عيوب الحرب القبيحة التي دست أصابعنا في مواقدها رغما عنا ولا يستطيع أي عقل أن يتقبلها باستثناء عقول المجانين أو الذين دججت عقولهم بأفكار الانتصارات والحروب والقتال، والمتعطشين إلى سفك الدماء".

وتظهر المرأة في الرواية بوصفها جزءا أساسيا من نسيج المكان الشعبي الذي تقع فيه الأحداث، ونقل البطل تفاصيل دقيقة للهموم التي تشغل النساء في الحي وطبيعة الأحاديث التي كانت تجري بينهن؛ يقول "نساء الزقاق يجهلن حساب الوقت بالساعات، فيحسبن معظم أوقاتهن باستدارة الشمس اليومية المتكئة على أسطح بيوتهن، وتحولات الظل التي ترافق هذه الاستدارة اليومية".

وأضاءت الأحداث داخل الرواية، الصادرة عن "الآن ناشرون وموزعون"، دور المرأة وموقفها خلال الحرب وبعدها، لاسيما ذاك النموذج الذي فقد الزوج أو المعيل، فكانت إحداهن ضحية الحرب، لكنها صمدت أمام ما اعترضها من صعوبات وحافظت على نفسها في وجه المغريات.

وقدمت الرواية رؤية تنطق بالتألّم للواقع الذي انتهى إليه الناس بسبب الحروب التي أنهكتهم واستنزفت قواهم، فقد "ساد الاعتقاد عند أغلب الناس أن اللعنة هنا. أسطورة الموت لا تنتهي، ليبقى بلد الحضارات يصارع الحياة في غرفة العناية المركزة. مضى أكثر من عام على وجود بقايا متفرقة وقليلة من قوات العدو تاركين تراكما من خيوط مقطعة، ليس من السهل ربطها أو إعادتها إلى وضعها السابق، فهذا النسيج المرتبك الذي جاء به المحتل عمدا طمس معالم الحياة وثوابتها ليكون البلد حلبة صراع بدأ ولا تعرف له نهاية".

ويمكننا اعتبار رواية "زقاق الجمجم" رواية مكان بامتياز. وحول أهمية المكان يشير الناقد الفرنسي غاستون باشلار في كتابه "جماليات المكان" إلى أنه من الواضح تماما أن البيت كيان مميز لدراسة ظاهراتية لقيم ألفة المكان من الداخل، بشرط أن ندرسه كوحدة، وأن نسعى لدمج كل قيمه الخاصة في قيمة واحدة أساسية، وذلك لأن البيت يمدنا بصور متفرقة وفي الوقت ذاته يمنحنا مجموعة متكاملة من الصور.

> الرواية تستعيد الماضي وتفاصيل المكان فيما تتناثر فيها أحاديث الحرب وتداعياتها القاسية على الشخصيات

لهذا يرى أن الإحساس بالهناءة يعود إلى بدائية المأوى. ومن الناحية الجسدية فإن الكائن الذي يمتلك المأوى يتكور، ويتستر، ويختفي، ويرقد، ويتلذذ، وهو غائب عن الأنظار.

ولكن المأوى ليس مكانا وهميا بقدر ما هو مكان للراحة والسكينة والإحساس بالوجود والحياة، والإنسان في ظل الظروف الصعبة يصبح المأوى لديه مكانه المفضل.

وهذا ما ينطبق تماما على الراوي الذي يعود إلى الزقاق وبيوته في الماضي هربا من جحيم الحاضر والدمار الذي لا يصيب المكان فحسب بل يطال الناس أيضا.

وشهدت الرواية العراقية قفزة غير مسبوقة، لا من حيث المستوى الفني فحسب بل حتى من حيث الكم الكبير من الروايات التي يصدرها العراق وكتّابه. وعلى اختلاف قيمتها الفنية فإن الروايات العراقية تكاد تتشابه خاصة من حيث تأثرها بما طرأ على العراق ما بعد الاحتلال (2003) ومن حيث علاقتها بالواقع الذي تشوبه الفوضى، وبالأخصّ من حيث بطولة المكان الذي بات هو الحاضر الأبرز على غرار ما نجده في هذه الرواية.

ويرى الناقد العراقي قيس كاظم الجنابي أن "الروايات العراقية ما بعد الاحتلال الأميركي عبرت عن هشاشة المأوى وهشاشة الواقع بطرق مختلفة، سواء كان سجنا أو بيتا أو وسيلة نقل، كما كشفت عن تأثير هذه الهشاشة على واقع المجتمع العراقي وتفكك عراه عبر الحروب الطائفية وغياب الدولة وسيادة الجماعات المختلفة"، وهو ما يبدو ماثلا في رواية بيات مرعي.

استعادة الأمكنة الشعبية استعادة للحياة (لوحة للفنان محمود فهمي عبود)